وحاول الصهيونيون القيام بالعمل ذاته بالنسبة الى يهود الجزائر، قبيل حصول البلد على استقلاله في مطلع الستينات. الاّ ان اكثرية اليهود هناك كانت تحمل الجنسية الفرنسية؛ ولذلك اتجهوا الى فرنسا، مع المستوطنين الفرنسيين الذين غادروا البلد.

والى جانب هذه الانشطة «الكبيرة»، كانت هناك انشطة «صغيرة» أخرى لتهجير اعداد محدودة من اليهود، من هنا وهناك وهنالك، من هذه الدولة، او تلك، سواء عربية كانت ام اجنبية.

وحتى لا يخيل للمرء اننا نتحدث عن حالات قديمة تعتبر «تاريخاً»، نشير، ايضاً، الى حالات حديثة للغاية، للتدليل على «استمرارية» النشاط التهجيري. فقصة تهجير اليهود الاثيوبيين من الفالاشا، من طريق السودان، من خلال تسهيلات قدّمها الرئيس السوداني المخلوع، جعفر النميري، بعد ان قبض، وبعض اعوانه، مبالغ ضخمة من الرشاوى، باتت معروفة للجميع، وكانت موضع نظر من قبل المحاكم السودانية. بل ان صحف اسرائيل نشرت صوراً فوتوجينية للغاية، التقطت للنميري وهو بصحبة اريئيل شارون دون غيره. وتمّ ذلك في اواخر سنة ١٩٨٢، عندما كان شارون لا يزال يشن حربه على لبنان، وكان مجرد ذكر اسمه، حتى بين قطاعات واسعة من الاسرائيليين، يثير الاشمئزاز.

وبعد اعدام الرئيس الروماني تشاوشيسكو، كشفت اسرائيل النقاب عن ان «صديقها»، و«صديق» العرب والفلسطينيين أيضاً، كان، وصحبه، يتقاضون مبلغاً من الدولارات عن كل «رأس» يهودي تسّهل عملية هجرته.

عوْد على بدء؟

على ارضية هذا الشريط من الوقائع، تبدو عمليات تهجير اليهود السوفيات، الجارية حالياً، مؤامرة جديدة تضاف الى السابقات، وستكون نتائجها، ان قدّر لها ان تنفّذ، شديدة الخطورة، بل ربما اشد خطراً من اي تحدّ واجهه الفلسطينيون والعرب منذ فترة طويلة. والمسؤولية عن هذا الوضع تقع، اولاً، على عاتق الشيطان الاكبر، على حدّ تعبير الخميني، اي الولايات المتحدة الاميركية، وقادتها الخانعين للـ «قِيَم» الصهيونية، وعلى العدو الصهيوني، وكذلك ـ دون لفّ او دوران ـ على الاتحاد السوفياتي نفسه، لا غيره.

اننا نثمّن عالياً المساعدة والتأييد، مادياً ومعنوياً، التي قدّمها الاتحاد السوفياتي خلال فترة طويلة، ولا يزال يقدمها، الى الشعب الفلسطيني وقضيته. وندرك، ايضاً، انه لولا المواقف السوفياتية الحازمة، في بعض اللحظات الحرجة، لتعرضت حركة المقاومة الفلسطينية لأذى يفوق كثيراً ما كان من نصيبها. كما اننا كنا، وما زلنا، نعوّل على دور ما، ايجابي بالطبع، يفترض ان يلعبه السوفيات في المساعي الهادفة الى ايجاد حل عادل للقضية الفلسطينية. ومن كافة هذه النواحي، واي منها لا تقل اهمية عن الأخرى، لا مصلحة لنا في اثارة العداء على الاتحاد السوفياتي، ولا الاساءة اليه، او الانتقاص من قدره. الا ان هذا كله لا يمنعنا، ولا يجب ان يمنعنا، من الاشارة الى الخطأ، عندما يرتكبه السوفيات، والمطالبة بتصحيحه، بالحاح ومثابرة وشدة، خصوصاً عندما يكون الخطأ فادحاً وخطيراً، بل ومرعباً من حيث النتائج السلبية التي قد تترتب عليه. وحتى الآن، نكتفي بالقول ان ما اتخذه السوفيات من اجراءات، في مجال الهجرة، كان خطأ، وينبغي تصحيحه على وجه السرعة.

ولكي نقف على ابعاد التحدي الكبير الذي نواجهه، ينبغي توضيح الخطأ الفادح الذي وقع فيه السوفيات والذي يبدو معه انهم راحوا يقدّمون الى الصهيونية، التي لم يحبّذوها يوماً، خدمات لم